

## مقدمة

التعرف إلى هذا المشترك الثقافى - وبشكل عملى - تصادف مع المؤتمر الذى أقيم بجامعة القاهرة فى صيف ٢٠٠٦ وفيه أثير معنى المشترك ودلالاته..

وهى الفترة التى شهدت رحيلى إلى الشمال - تركيا - فى زيارة أيقظت لدى الكثير قبل أن أعاود الرحيل لاستعادة المعنى وتعميقه عبر مدريد وباريس ثم روما قبل العود إلى القاهرة فى ربيع ٢٠١١.. ربيع ثورة الشباب التى تفجرت فى القاهرة..

وهو ما يدعونا هنا- والآن- إلى استدعاء هذا المعنى - وفهم تأثيره فى تكوين الهوية الشرقية بحثًا عن المستقبل الذى لا يحدث دون أن نتنبه إليه؛ ونعمل له...

المعنى الذى يؤكد وجوده هنا لا يتصارع مع الغرب ولكن يتأكد من خلال تعميق عناصر الهوية الشرقية الخاصة بنا.. وهو ما نؤكد عبر إعادة تعريف المفهوم - المشترك الثقافى - فى مفردات كالعروبة أو دلالات المشترك الدينى التى تضيف إلى الهوية هنا معنى أعمق وأشمل يمكن أن نتعرف به إلى هويتنا.. وبشكل أدق فإن تأكيد الهوية هنا والآن لا يكون بالعودة إلى عناصر هذا المشترك الدينى أو السياسى أو الحضارى وحسب وإنما - قبل ذلك وبعده - تأكيد «الهوية» بالنظر إلى الأمام لا إلى الخلف.

لقد استخدمت ضدنا كل أساليب الكراهية سواء فيما خلفته الأصولية المتخلفة أو منظمات إمبريالية معادية، وهنا لا بد وأن نذكر كيف ساعدت قوى غربية في إذكاء شعلة التعصب من حولنا لغويا وعنصريا ودينيا.. إلى آخر هذه المنظومة التي تحاول إعادة تكوين البنية وتخریبها عبر الهبوط إلى الخلف..

و يبدو أننا لا نجنى سوى الألم والمرارة عندما نعود إلى الخلف دائما!! .!

وعلى هذا النحو، فعلى الرغم من السعى لوجود هذا «المشترك الثقافي» بين الغرب والشرق، أو بين الغرب الاستعماري - الأوروبي - والإمبريالي - الأمريكي - والشرق الذي يعاني ويلات التعصب والاستيطان الصهيوني الغاصب، فإننا يمكننا استعادة دعوة هذا (المشترك الثقافي) الشرقي، في منطقة الشرق - تحديدا - للخروج من عصر العولمة بتجلياتها من هذه الأزمات المتواصلة إلى آفاق الوجود، فتأكيد الهوية يكون بالعود دائما إلى الأصل المشترك / الأديان، والأصل المشترك / الفكر السياسي والحضاري، والأصل المشترك / الوعي بالمستقبل وضرورته في هذا السياق..

وهو المعنى الذي تردد كثيرا في العديد من اللقاءات أو المؤتمرات والدراسات وإن تكن قليلة فإنها فاعلة في تأكيد معنى الهوية الخاصة بنا، فإلى جانب هذا المؤتمر أو ذلك يمكن أن نرصد تجليات الهوية الثقافية (المشترك الثقافي) في عديد من مؤتمراتنا وجهود مفكرينا التي تماهت بين العديد من المؤلفات من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب في

هذه المنطقة التي تنتمي إلى ثقافة الشرق العربي وفي الوقت نفسه ثقافة البحر الأبيض المتوسط، أى أن علاقاتها العالمية بالمركزية الحضارية علاقة أكيدة حاول أن يجتهد فيها من قدم لنا عنوانات دالة تتعدد فيها المساحات ويتبدد المفهوم حول هذا المشترك الذى يجب أن يحل: «مستقبل الثقافة فى مصر» لطفه حسين أو مستقبل الثقافة فى مصر العربية لسليمان حزين مروراً بعدديد من الكتابات عند على عبد الرازق ومحمد حسين هيكل وحسين مؤنس وصولاً إلى محمد عابد الجابرى وسمير أمين ومحمد عماره وزكى نجيب محمود ومحمد غنيم وجلال أمين ووجدى زيد وخالد عزب ومحسن خضر.. وغيرهم من العلماء والمجتهدين فى هذا ..

صحيح إنه كانت هناك معالجات سابقة على مر العصور التاريخية للملامح والثقافات التي تشترك فيها الحضارات والثقافات المختلفة، غير أن هذا الإنجاز كان يتمركز حول طرح لفكرة المشترك الثقافى كمنظريه بديلة أمام نظرية صراع الحضارات الغربية، فكان أن بدأ ذلك مبكراً حين دعا مفكرو مصر لمناقشة الفكرة، ثم تجريب هذا بطريقة عملية بين الثقافة المصرية والثقافات الصينية واليابانية والفرنسية والألمانية.

وهو ما تجسد أكثر فى عقد مؤتمر دولى بجامعة القاهرة أواخر ديسمبر ٢٠٠٦ واستطاع بذلك أن يكون من بين أهم المؤسسين لمفهوم «المشترك الثقافى».

كان على هذا المؤتمر أن يتنبه - وهو ما حدث بالفعل - إلى حقيقة تأكيد (الهوية) الشرقية لنا هنا، فى «الشرق الإسلامى» ولا نقول

فى «الشرق الأوسط»، فالمفهوم الأخير- الشرق الأوسط - مفهوم دخيل علينا رده منذ فترة ميكرة شيمون بريز وبقية رموز اللوبى الغربى المقيت: نقول «الهوية الثقافية» التى تمضى فى مساحة المستقبل التاريخى والجغرافى والمعرفى.

واستعادة المعانى الحقيقية لهذه المفاهيم تفرض نفسها.

أى تأكيد ثوابت الهوية الخاصة بنا هنا فى الشرق الإسلامى، وهو ما خيم على هذا المؤتمر خاصة حين تنبه البعض إلى ذلك سواء فى ضرورة التنبه إلى الهوية الخاصة بنا فى الشرق هنا أو وصولا إلى علاقة هذه الهوية بتطورات العالم فى العصر الحديث سواء قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية أو بعدها حين بدأ الصراع جليا فى التماس الحاد مع القوى العالمية متمثلا فى دخولنا إلى عصر العولمة والرور من باب عصر العولمة حيث ترجمت حيلة الحادى عشر من سبتمبر الباب فى خديعة (صراع الحضارات) الذى بدأت تعاني فيه الهوية الشرقية (العربية) من عنف الصراع هنا مرورا إلى النقطة الفارقة التى يجب التنبه لها جميعا، وهى هذه النقطة التى يجب أن نتهمل فيها لنرى المستقبل الآتى وليس العودة إلى السوراء، المستقبل الذى نحن منه لا الذى يفرض علينا، وهو المعنى الذى تردد كثيرا فى عديد من التصورات التى عرفناها فى ذلك الوقت.

من ذلك تردد هذا المعنى فى التصور الذى صاح به العديد من المثقفين الواعين بشكل مباشر فى كل هذه الترجمات المعاصرة وهذه الكتابات المتدفقة المثارة القلقة إبان ثورة يناير.

الأنظر إلى الأمام بهذا التصور يجب أن يكون مضمرا لمعنى الهوية: هذا المشترك العربى خاصة والمشارك الذى يؤكد نوازع هذه الهوية الشرقية

لنا في منطقة الشرق على وجه أخص كان هو المعنى الذى نستعيده فى قول الله تعالى للرسول (صلى الله عليه وسلم) :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣١﴾ وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٣٢﴾ النساء: (١٦٣ - ١٦٤)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْعَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنْ أَسْأَلْتُمْ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَعْمُرُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

البقرة: (١٣٠ - ١٣٣)

ثم فى إيجاز بليغ فى الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

الأنبياء: (٩٢)

الدائرة تجاوز المركز إلى مساحات المحيط البعيدة متصلة بالمركز لا منفصلة عنه وهو ما يعود بنا إلى تأكيد بدهية أخيرة فى حلقات البدهيات التى نغفلها جميعا، ونقصد بها هذه البدهية التى تؤكد هويتنا هنا فى الشرق؛ هذه الهوية التى وإن لم تخرج من الإطار الدينى

من التنبه المشترك لهوية الأنبياء التي تصل بنا إلى تحديد الهدف من الوجود وهو ما أوحى به الله عز وجل من المعنى العام للبشرية من جهة، ثم هبوطا إلى الجنس البشرى هنا فى الشرق من جهة أخرى ليظل المعنى الكامن فينا هو التنبه للمشترك الثقافى - دىنى أو سياسى أو حضارى - والذى يجمع كل الخيوط الخاصة بهويتنا هنا فى الشرق، وهى الخيوط التى تصنع نسيجنا واحدا يظل مناهاضا لكل قيم الاستعمار والرأسمالية والإمبريالية والعمولة وبدعات حوار الحضارات وتحدى الحضارات، وما إلى ذلك بقصد النيل منا.

النظر إلى الأمام يجب أن يكون مضمرًا لمعنى الهوية فى الدين؛ ثقافة هذا المشترك الذى يترجمه الواقع الحى من أننا على أعتاب حقبة تحمل لنا آمالا عريضة لا بد من العبور إليها «شريطة أن ننتبه إلى أن الأمام لا بد وأن ننظر فيه «أفرادا وجماعات» إلى المعنى الذى نردده هنا وذلك بالعود إلى الكثير من أفكارنا وقيمنا الموروثة لنراجعها فى مرآة الحاضر العالمى بعقل متفتح، حيث إن أملنا الأكبر هو إيجاد مجتمع عالمى يؤكد على أن تشارك فيه الإنسانية كى تعم الفائدة على الجميع، إن هذه المساهمة لهى بمثابة دعوة قوية للجميع للاتحاد معا سعيا نحو إيجاد هوية عالمية مشتركة».

إنها الهوية الشرقية العالمية القائمة..



وهو ما يصل بنا إلى استعادة المعنى الإيجابى الذى قصده د. وجدى زيد فى بداية المؤتمر حين أكد لنا أنه لكى ننتبه إلى هذا المشترك الذى

يغلف الهوية الشرقية ويؤكد لها. يظل النظر إلى الأمام شديد الأهمية ، فهو يجمع الوعي الدينى بمفهومه المستقبل الخاص بتأكيد الهوية هنا فى الشرق، وقد تم تأكيد هذا المعنى فى التصور الذى صاح به فى اليوم الأول الذى يترجمه هذا المعنى هنا من أن « تأكيد الهوية ليس بالعود إلى عناصر هذا المشترك الدينى أو السياسى أو الحضارى وحسب وإنما - قبل ذلك وبعده - تأكيد الهوية بالنظر إلى الأمام لا إلى الخلف» .

وكان الرمز الأول لهذا المشترك الثقافى تردد كثيرا فى هذا الوقت حين عبر عنه فعرف المشترك الثقافى على أنه «كل المعانى والقيم والأحكام البناءة التى تتفاعل بين الثقافات المختلفة ، ويمكن أن تصبح معبرا ونقاط تواصل بين الحضارات ؛ ومن هنا ، يتأكد غياب هذا الالتباس بين المشترك الثقافى والمشارك الدينى ؛ إذ أن المشارك الدينى - كما حدد - يظل جزءا من المشترك الثقافى ، وهو ما يعنى أن يكون هذا المشترك بين الأديان أساسا للرؤية الكبرى التى تحدد منظومة عالمية للأخلاق ، وكيف تكون هذه المنظومة مدخلا لعلاقات أفضل بين شعوب العالم فى السياسة والفكر والاقتصاد والتكنولوجيا والبيئة» .

وهو ما يصل فيه إلى حقيقة هامة هى حقيقة المنظومة العالمية للأخلاق ، فقد أجمع أتباع الديانات الثلاث وأتباع الديانات غير السماوية على أن أحد الأسباب الرئيسية للأزمات السياسية والاقتصادية والبيئية التى تراكمت فى عالم اليوم وازدادت حدتها هو غياب الرؤية الكبرى التى تستشرف المستقبل وتقلل من تراكم المشكلات المعقدة ، وتعمق الإحساس بالخير العام للإنسان أينما كان ، وهذه الرؤية تأخذ فى الحسبان كل

الأبعاد التي يمكن التعامل معها عند وضع معايير عالمية للأخلاق. والمعايير العالمية للأخلاق هي الأحكام والمعاني والقيم التي يتفق عليها المتدينون وغير المتدينين والتي تمثل المشترك بين الأديان.

وهو ما يشير في السياق الأخير إلى النظر إلى الأمام..

لا ينبغي في هذا كله النظر إلى الماضي بحجة المشترك الديني، وإنما السعي إلى الأمام، فهو الهدف الذي يدعو إليه الدين الحنيف، وقد ارتجل فيها د.زيد هذه العبارة التي سجلت لنا هذا المعنى على هذا النحو الدال:

أسطورة جميلة عميقة المعنى : البطل فيها يفقد حبيبته وترحل إلى العالم الآخر. وينصحه العرافون بأنه إذا أراد أن ينجح في استعادتها فعليه ألا ينظر إلى الوراء بعد أن يخرج بها من عالم الموت!.

والنظر إلى الأمام هو هو المعنى الذي أشار إليه البعض - د.أحمد عبدالعال - أيضا في هذه القصة التي قصها رجل من جماعة مأخوذة الشيروكي Cherokee وهي جماعة أمريكية أصلية في الولايات المتحدة - حين كان يعلم أحفاده أمور عن الحياة. فقال لهم:

« ثمة صراع بشع بداخلي. صراع بين ذئبين. الذئب الأول يمثل الخوف والغضب والحسد والحزن والجشع والكبرياء والذنب والرفض والدونية والكذب والكبرياء الزائف. بينما يرمز الذئب الآخر إلى الفرحة والسلام والحب والأمل والهدوء والتواضع والعطف والصدقة والكرم والحقيقية والرحمة والإيمان. وحدث الجد أحفاده أن نفس هذا الصراع يدور داخل كل واحد منكم وداخل كل واحد منا جميعا.

وأخذ الأطفال فى التفكير لدقيقة ثم سأل واحد منهم جده: - «أى الذئبين سيفوز؟».

فأجابه الجد: «الذئب الذى تغذيه».

العود إلى الأمام وفى الوقت نفسه إلى الجانب المضىء فى الإنسان..  
بيد أننى قبل المتأداة بالعودة إلى الأمام - برفض النظر إلى الخلف -  
اصطدمنا بعدد من الإشكاليات فى الشرق، ليس فى افتقاد هذا المشترك  
الثقافى بيننا فقط، وإنما قبل هذا وبعده، غياب هذا الوعى - المشترك  
- على المستوى العالمى فى عصر العولمة، ومن ثم، أصبحنا نعانى  
هذه الازدواجية - الفوضى على المستوى الشرقى هنا- ثم هذه الفوضى  
فى عصر العولمة - الفوضى على مستوى الجهل والتعصب ضدنا خاصة  
بعد حيلة ١١ سبتمبر - مروراً من عصر العولمة فى نهاية القرن العشرين  
إلى بدايات القرن الحادى والعشرين، ليس بالكراهية التى استخدمتها  
أجهزة المخابرات والمراكز البحثية ضدنا وحسب، وليس غياباً وراء  
نظرية المؤامرة فى دراما ١١ سبتمبر المخادعة أو دراما «ويكيليكس»  
المريبة وحسب، وإنما أيضاً وراء هذه المهزلة القاتمة التى بدت فى  
تصريحات البابا فى الفترة الأخيرة فى روما مروراً بالرسوم وتداعياتها  
فى الدنيمارك والنمسا وصولاً إلى انفجار كنيسة القديسين بالإسكندرية  
وأخواتها بين بغداد والإسكندرية مروراً بصحراء تونس والجزائر قبل أن  
نعود إلى دراما السودان وتداعياتها الدامية اليوم وننام ونقوم على معركة  
«الجمال» وتداعياتها فى الفترة الأخيرة .

وعلى هذا النحو، لابد أن يكون واضحاً منذ البداية، إلى أن  
الخلاص مما نحن فيه يجب أن يتم بالوعى بالهوية، والهوية التى

ننتسب إليها لا تحتوى على الهوية العربية وحسب وإنما تتعدد فيها الهويات حين تتحدد قيم هذا «المشترك الثقافى» فى عديد من المواقف والاثنيات ووجهات النظر المتباينة فى هذا المحيط البعيد عن مركز الدائرة (المشترك الثقافى).

وعلى هذا النحو، يكون حاصل جمع العديد من المعطيات والركائز المعاصرة هذا الوعى الأخير بالمعنى العام: الهوية العربية+ الهويات الأخرى + الاثنيات + اللغويات + التقسيمات.. إلخ = المشترك الثقافى وهو ما يمكن التمهّل معه أكثر عبر بعض الأحداث الأخيرة التى تشير إلى ضرورة التنبه إلى هذا المشترك (الهوية الثقافية) وتداعياته بيننا. وهو ما تنبهنا إليه قبل أن نبحر فى بقية المشاهد.

وقد تصادف وأنا أتأهب لكتابة هذه الدراسة تعرض السفينة مرمره للاعتداء الصهيونى على أبناء المنطقة وتعرض الوعى فى الداخل لمعنى موقعة «الجمل» ودلالاتها فى ميدان التحرير وتعرض معنى الوعى الثقافى النبيل للغبن والجحود فى العديد من المواقف التى تعكس الغياب عن الحاضر..

ولم تكن المصادفة آتية لعنف الاعتداء وضراوته بقدر ما كان استعادة لواقع غائب عنا جميعاً؛ واقع أصبح التنبه إليه ضرورة للعيش فى بدايات القرن الواحد والعشرين، ضرورة للوعى لما يجب التنبه إليه من تلمس واقع الثقافة، الهوية، ثقافة الهوية ومن ثم، البحث عن مفهوم هذا المشترك الثقافى (المصين)، المفهوم الذى أصبح يتبدى لا للعود إلى تاريخ ماضٍ، بقدر ما يتحدى العبور إلى المستقبل والعمل له من

الجنوب فى جنوب أفريقيا إلى الشمال فى شمال آسيا، فى هذه المنطقة التى تتعدد فيها الثقافات والأجناس والطوائف والإثنيات والمواقف. فى هذا المؤشر «المشترك الثقافى» الذى يؤكد المستقبل والمصير الواحد .. والواقع أن تطور فهم الواقع -الخطاب الجديد هنا جاء ليؤكد البحث عن هذا المستقبل.

وهو واقع جاء -فى الأساس الأول- من طبيعة المضارع المستمر الذى نعرفه جميعا فى البحث عن المصير، ومن ثم، أصبحنا نتعامل فيه مع البدايات حين طرحت أمامنا قضية الثقافة، ومستقبل الثقافة، والهوية، وطبيعة الصيرورة التى نعيش فيها جميعا .. فليس من الغريب أن هذا البحث عن مستقبل الثقافة جاء محملا بتركة الواقع إلى حد بعيد..

فحين طرحت قضايا المرأة والسلفية والوهابية.. وما إلى ذلك من القضايا التى عرضنا لها فى كثير من اللقاءات والمؤتمرات، كان الطرح يعنى البحث عن المشترك الثقافى (المصير) عبر تجليات هذا الواقع.. خاصة وأن القضايا الأزلية كانت تستعيد طرحها عبر أصابع سعد زغلول الذى تتجه إلى الغرب - تمثاله فى الإسكندرية - فى مصر - أو أصابع كمال أتاتورك التى تتجه للغرب - عبر تمثاله فى أنقرة - تركيا -، أو عيون أبو الهول -التمثال- ووجه الذى يتجه إلى الشرق قبل هذا كله، وهو ما أعاد تساؤلاتنا إلى تعريفاتها الأولية، وسياقها الأخير.

وهو المعنى الذى كنت أستعيده - على المستوى الشخصى - وأنا أقف فى قاعدة المثلث الجغرافى بين برج القاهرة وتمثال سعد زغلول قبل أن أرحل من الأهرامات فى الجنوب حيث يتجه أبو الهول إلى

الشرق.. وهل هي مصادفة أن يتجه أبو الهول إلى الشرق؟.. إلى قمة المثلث عند شباب الثورة، من رمز الخطر الغربى (البرج) والوعى الشرقى (التمثال) إلى قمة هذا المثلث بين أولادنا المقيمين فى ميدان التحرير..

قمة المثلث (ميدان التحرير) كانت تمثل لى - على المستوى الشخصى - عبورا من المعنى الإمبريالى المقيت للعم سام فى البرج، والمعنى الوطنى الجميل من سعد زغلول من الماضى الذى ينتمى إلى الشرق كما ينتمى إلى الغرب كما يتماس مع حضارة البحر الأبيض المتوسط إلى ملتقى مساحات المثلث عند ثورة الشباب الواعى المقيم فى يناير ٢٠١١ .. وهو ما تمهلنا عنده فى موضع آخر ..

وهو ما تؤكدته إشارات رئيس الوزراء التركى أردوغان فى زيارته الأخيرة لدول الربيع العربى فى سبتمبر ٢٠١١ . وهو ما نتمهل فيه الآن عند فهم هذا الدور .

والقضية هنا كانت تتحدد عبر هذه التغييرات الكثيرة عبر الصحف الورقية والفضائيات الإليكترونية فى اشتعال أزمة العولمة بيننا وبنا والخوف من تهديد ثقافتنا عبر العديد من القيم التى تطرح علينا مثل حقوق الإنسان والنظام العالمى الجديد عبر حروب القرن العشرين وتواصل مع تجليات الحرب الباردة فى نهايات القرن وبدايات قرن جديد افتتحه الشباب الواعى النبيل هنا؛ والآن ..

وعلى هذا النحو، كانت تتحدد إشكالية الدراسة هنا عبر عدة تساؤلات ومصطلحات حائرة، عبر ثلاثة دوائر تتماهى فى محيط

المنطقة، ومابين المقدمات والخاتمة كان لا بد أن نتمهل عند هذه الدوائر المعلقة عبر إشكاليات عديدة.

وهو ما تقترب فيه أكثر من الواقع الديموجرافى والثقافى الذى تعيش فيه المنطقة عبر اكتشاف المشترك الثقافى والعود إليه دائماً. فأرجو أن نكون اقترينا - أكثر - من هذا المشترك الثقافى (الهوية)، الوعى بالخلاص ورموزه المترامية بيننا.

وبعد، هذه شهادة كاتب هذه السطور فى ربيع هذا العام ..  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. مصطفى عبدالغنى

□□□



## تمهيد على مشارف ثورة يناير

لا يمكن العبور من خطوط الطول والعرض في المنطقة دون أن نصل إلى إشكاليات كثيرة من ذلك هذه الإشكالية التي تتحدد في هذه التغييرات الكثيرة عبر الصحف الورقية والفضائيات الإليكترونية في اشتعال أزمة العولمة بيننا وبنا والخوف من تهديد ثقافتنا عبر العديد من القيم التي تطرح علينا من مثل حقوق الإنسان والنظام العالمي الجديد وما تعرض له المنطقة من مخاطر الإمبريالية الغربية سواء بجماعتها الانحيازية<sup>(١)</sup> - إسرائيل - أو بتأكيد مفهوم «الفوضى الخلاقة»: الأمريكية وتجلياتها في المنطقة.. أو ما أثارته ثورة الشباب في يناير ٢٠١١ الماضى بشكل خاص .. فلنتمهل عند ثورة الفضاء الرقوى وثورة الشباب في هذا العام ..

كيف نرى مصيرنا على مشارف ثورة ٢٥ يناير ؟

أمام هذا كله نجد أنفسنا أمام العديد من المخاطر التي تهدد ثقافتنا أو مصيرنا في هذا العصر بكل تجلياته الأخيرة في الشرق عامة وفي مصر على وجه الخصوص ..

ومن هنا يتحدد البحث عن مستقبل للثقافة عبر الفهم الواعى لمفهوم الثقافة الإسلامية وذلك عبر تحديد العديد من المفاهيم : كالثقافة والهوية

(١) الجماعة الانحيازية، مفهوم تردد كثيرا في الدراسات العلمية المعاصرة.

والغرب والمستقبل .. إلى غير ذلك عبر إعادة تضمين خيوط الثقافة والهوية والدين فى نسيج واحد يجب التعامل معه بعد أن غبنا طويلا فى ظلال القوميات المنبعثة هنا وهناك ودون التنبه إلى ما يجب أن تعرف به هذا الاتجاه الفكرى أو ذاك خاصة فى علاقته بالحاضر .. ودون التنبه إلى ما يشير إليه كل ما يحدث - وما حدث - من إعادة وصياغة القضايا الطارئة بشكل عام دون التمهّل إلى النسيج الواحد وراء حركة الأحداث والأكوان حولنا .

وقد ضمن كل هذا فى مفهوم (مصير) يشير إلى صيغة المشترك الثقافى الذى يجب التنبه إليه هنا فى المنطقة التى تمتد من الغرب - المغرب العربى - إلى الشرق - أقصى مياه الخليج، والتى تتضمن خطوطا جغرافية تهبط من السودان جنوبا لتصعد - عبر دارفور وكردفان - إلى أقصى الشمال - فى طهران وقونية - . وهى المنطقة التى يوحدتها اكتشاف المشترك الثقافى بين أبنائها فى الهوية والثقافة والمصير وما إلى ذلك مما يمكن أن نشير إليه فى رصد منظومة هذا المشترك.

وهى المنطقة التى تعبر عن أزمته المعاصرة فى العديد من الأحداث ربما كان آخرها ما يتعرض له قطر حيوى مهم كالسودان.

إن مصير هذه المنطقة يظل مرهونا بمعرفة أبنائها لجذلية العلاقة بين قيم ومفاهيم كثيرة لا بد من التنبه إليها قبل أن نغيب فى مصير مظلم يحاك لنا جميعا، ونقد الوعى بمفاهيم تتراوح بين النظرة المادية

والروحانية ويكون حاصل جمع المادى والروحى تجليات الثقافة الإسلامية<sup>(١)</sup> التى تحتوى العديد من المفاهيم وتعيد تحقيقها بالتنبه إليها عبر بدهيات الواقع الزمنى .. الإشكالية التى نعرض إليها هنا عبر المفاهيم الأولى قبل أن نهبط إلى تطبيقاتها فى المدى المعاصر عبر الأمثلة ..

وهو ما يدفع بنا إلى الإبحار أكثر قرب الأزمة التى عرفناها بشكل أفقى فى العديد من القضايا والبؤر التى اشتعلت فى الحقبة الأخيرة، وبشكل رأسى فى العديد من الأحداث ربما كان آخرها ما حدث فى السودان بانفصال جنوبه وماحدث فى نفس الوقت متمثلاً فى انفجار كنيسة القديسين بالإسكندرية بالشمال ..

وهى أزمة تمثل رمزاً دالاً فى معادلة لغياب هذا «المشترك» وحضور السودنة والعرقنة واللبننة .. إلى غير ذلك من المصطلحات التى يسعى لترويجها اليوم .. وقد يكون من المهم أن نتمهل عند هذا المخطط فى

(١) نديننا بعض الكتابات التى كانت واعية أشد انوعى نحاصل جمع انقيم انظرية المادية والإسلامية ربما كان آخرهم هو على عزت بيجوفيتش (٨ أغسطس، ١٩٢٥ - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣) أول رئيس جمهورية لنبوسنة و الهرسك وذلك بمؤنفيه «الإسلام بين الشرق والغرب» وهروبى إلى الحرية.

انظر أيضاً: مجلة «كيفونيم» ١٩٨٢ التى تصدرها المنظمة الصهيونية العنصرية، وثيقة بعنوان «استراتيجية إسرائيلية لثمانينيات». وفى التسعينيات أصدر مركز ديان للأبحاث التابع لجامعة تل أبيب كتاب (إسرائيل وجنوب السودان).

- محاضرة حديثة لوزير الأمن الداخلى الصهيونى «آفى ديختر» فى سبتمبر ٢٠٠٨. أنقأها فى معهد أبحاث الأمن انقوى الإسرائيلى.

<http://akhbar.khayma.com/modules.php?name=News&file=article&sid->

<http://www.tahseen-aboase.com/snews.php?id=1349->

<http://midadulqalam.info/midad/modules.php?name->

الشمال - المنطقة العربية - عبر ثلاث إشارات دالة لتحديد «المشترك الثقافي» وتأكيدده قبل أن نعود إلى نموذج الردىء فى الجنوب (جنوب السودان).

إن النظرة العامة إلى تاريخ المنطقة ترينا أنها مرت بالعديد من المواقف والمؤامرات الغربية التى أسهمت فيها القوى الصهيونية والاستعمارية الغربية والإمبريالية الأمريكية فى آن واحد. وهو ما يمكن الإشارة إليه عبر ثلاث متغيرات اتخذت من شكل «الفوضى» غير الخلاقة إطارا عاما لها، وهى على النحو التالى:

أولا: الخطر الغربى

ثانيا: الخطر الصهيونى

ثالثا: خطر المصطلح

وهو ما نتمهل عنده أكثر قبل أن نسعى إلى تجليات «المشترك الثقافى» وأهميته ..

أولا: الخطر الغربى

إن مراجعة الأحداث فى هذه الفترة يمكن أن تؤكد السعى لتمزيق هذا «المشترك الثقافى» بين دول المنطقة؛ والمراقب المتأنى يلحظ - والأمثلة لا تنتهى - كيف بدأت الحرب اللبنانية الأهلية فى منتصف سبعينيات القرن الماضى والتى استمرت ستة عشر عاما وسبعة شهور ومعنى اغتيال النائب معروف سعد، ثم أحداث صيدا، وحادثة عين الرمانة الذى عكس دلالة الصدام المارونى الفلسطينى، حين تم إلقاء القبض قبل وقوع

الحرب هناك بأيام على شبكة عملاء لإسرائيل، وحين قامت تفجيرات مؤلة بين المدنيين فى المناطق المسيحية والمسلمة، وفى المناطق التى يقطنها الفلسطينيون. لكى تضرب إسرائيل لبنان بعضه ببعض تمهيدا لتقسيمه.. وحين عرفنا مذابح الأردن ضد الفلسطينيين التى كان من ورائها مجموعات تطلق النار على الطرفين حتى نجحت فى تحقيق الفتنة وإشعال الحرب والمذابح..

وكان من السهل فى هذا التعرف إلى مَنْ يقف وراء التفجيرات فى أسواق وأحياء ومعابد العراق خاصة وقد ألقى القبض على شبكات تابعة للمخابرات الإسرائيلية، لقد ألقى القبض عليهم قبل تنفيذ اعتداءاتهم، وبصحبتهم سيارات مفخخة بعشرات الكيلو جرامات من المتفجرات والمواد الحارقة وقبل هذا وبعده معنى هذه التصريحات التى أدلى بها اللواء عاموس يادلين الرئيس السابق للاستخبارات الحربية الإسرائيلية «أمان» فى نوفمبر ٢٠١٠ خلال مراسم تسليم مهامه للجنرال أفيف كوخافى حين قال: «إن مصر هى الملعب الأكبر لنشاطات جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية، وإن العمل فى مصر تطور حسب الخطط المرسومة منذ عام ١٩٧٩»، وهوما رأينا رموزه وتجلياته فى نجع حمادى والإسكندرية بعد ذلك.

هذه هى الفترة التى قال فيها المسئول الإسرائيلى بوضوح وبالحرف الواحد «لقد أحدثنا الاختراقات السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية فى أكثر من موقع، ونجحنا فى تصعيد التوتر والاحتقان الطائفى والاجتماعى؛ لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائما ومنقسمة إلى أكثر من

شطر، في سبيل تعميق حالة الاهتراء داخل البنية والمجتمع والدولة المصرية؛ لكى يعجز أى نظام يأتى بعد حسنى مبارك عن معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتفشى فى مصر».

وقدم يادلين الذى كان أحد المرشحين لرئاسة الموساد خلفا للجنرال ماثير داجان صورة تفصيلية لعمل الاستخبارات الحربية الإسرائيلية فى فترة رئاسته داخل أراضى عدد من الدول العربية مثل مصر والسودان وسوريا ولبنان خاصة حين اعترف :

«لقد أعدنا صياغة عدد كبير من شبكات التجسس لصالحنا فى لبنان، وشكلنا العشرات مؤخرا، وصرفنا من الخدمة العشرات أيضا. وكان الأهم هو بسط كامل سيطرتنا على قطاع الاتصالات فى هذا البلد. المورد المعلوماتى الذى أفادنا إلى الحد الذى لم نكن نتوقعه، كما أعدنا تأهيل عناصر أمنية داخل لبنان، من رجال ميليشيات كانت على علاقة مع دولتنا منذ السبعينيات، إلى أن نجحت وبادارتنا فى العديد من عمليات الاغتيال والتفجير ضد أعدائنا فى لبنان. وأيضا سجلت أعمالا رائعة فى إبعاد الاستخبارات والجيش السورى عن لبنان، وفى حصار حزب الله».

واعتبر يادلين أن اغتيال القائد العسكرى اللبنانى عماد مغنية، واحدا من أخطر العمليات التى قامت بها إسرائيل فى السنوات الأخيرة، وأشار إلى أن الاستخبارات الإسرائيلية كانت تطلق عليه الاسم الكودى «الساحر».

واستطرد «استطعنا الوصول إليه فى معقله الدافئ بدمشق. والتى يصعب جدا العمل فيها، لكن نجاحنا فى ربط نشاط الشبكات العاملة

فى لبنان والأراضى الفلسطينية وإيران والعراق والمغرب . مكفنا من إحكام الخناق حوله فى جحره الدمشقى . وهذا يعفبر نصرا تاريخيا مميزا لجهازنا على مدار السنين الطويلة» .  
وأشار يادلين إلى أن جهاز العمليات الإسرائيلية وصل إلى العمق الإيراني ، وقال :

«سجلنا فى إيران اختراقات عديدة ، وقمنا بأكثر من عملية اغتيال وتفجير لعلماء ذرة وقادة سياسيين ، وتمكنا من مراقبة البرنامج النووى الإيراني الذى استطاع كل الغرب الاستفادة منه بالتأكد ، ومن توقيف خطر التوجه النووى فى هذا البلد إلى المنطقة والعالم» .

وتعبّر لنا المصادر الصهيونية خاصة على ذلك حين نقرأ أن إسرائيل تخطط لتقسيم مصر إلى ثلاثة مناطق .. وهو ما صرّح به - بالفعل - عدد من قادة العدو ، وورد ذلك على صفحات منشوراتهم وبروتوكولاتهم .. فمن قبل صرح عدد من قادة الاحتلال الصهيونى بمخططات التقسيم تلك بشكل سافر ، من ذلك أيضا ما صرح به آفى ليختر وزير الأمن الداخلى الصهيونى السابق خلال وجوده على رأس الوزارة ، حول الهدف من استهداف السودان . يوم ١٠ أكتوبر ٢٠٠٨ ، بعنوان : الهدف هو تفتيت السودان وشغله بالحروب الأهلية ، فقال : السودان بموارده ومساحته الشاسعة وعدد سكانه يمكن أن يصبح دولة إقليمية قوية ، وقوة مضافة إلى العالم العربى .

وقد يكون من المهم هنا استعادة ما جاء فى كتاب وثائقى صدر عام ٢٠٠٣ عن مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا بجامعة تل أبيب للعميد

فى المخابرات الإسرائيلية لموسى فرجى يحمل عنوان «إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان - نقطة البداية ومرحلة الانطلاق».. جاء فى أن جون جارنج : حصل على دورة عسكرية فى كلية الأمن القومى فى إسرائيل ويذكر الكتاب : أن أهم الخبراء الإسرائيليين الذين تعاملوا مع جارنج هم رئيس الموساد السابق : آدمونى وديفيد كامحى ، وإيلياهو بن إيليسار أول سفير لإسرائيل فى مصر وأورى لوبرانى .

وكشفت وثائق إسرائيلية قديمة تحتوى على بروتوكولات هيئة رئاسة أركان الجيش الإسرائيلى ، أن القائد العسكرى والسياسى البارز موشيه ديان كان يخطط لاحتلال القاهرة ودمشق فى سبيل توسيع حدود إسرائيل وسيطرتها على المنطقة .

وحسب ما كتبه المؤرخ والباحث الإسرائيلى الأميركى جاى لارون . فإن ديان كان قد وضع هذه الخطة فى فترة مبكرة - عام ١٩٥٥ - حينما كان رئيساً لأركان الجيش . وعرضها على رئاسة الأركان فى نفس العام ، كـ «خطة جارور» ، يتم الإعداد لها بدقة ثم توضع فى الجارور ليتم تنفيذها عندما تنشأ الظروف لذلك .

وفصل ديان - بحسب المؤرخ - أمام جنرالات الجيش فى تلك الجلسة تفاصيل الخطة ومراحلها التدريجية على النحو التالى : ضربة أولية لمصر تهدف إلى احتلال قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس ، وبعد ذلك احتلال القاهرة ، احتلال الضفة الغربية حتى الخليل فى المرحلة الأولى ، ثم الوصول إلى نهر الأردن فى المرحلة الثانية ، وفى لبنان يتم احتلال الجنوب اللبنانى حتى نهر الليطانى ، وفى سورية احتلال الجولان وصولاً إلى دمشق .

والرسائل المتبادلة بين بن جوريون وموشى شاريت عام ١٩٥٤ ،  
الداعية إلى إقامة دويلة مارونية في لبنان في اتجاه السعى لتقسيمه  
لعدة دويلات طائفية على النمط الصهيوني .

المعروف أن الكونجرس الأمريكي قام - بالفعل - عام ٢٠٠٧  
بإصدار قرار يطالب بتقسيم العراق.

أما تنفيذ عملية فصل الجنوب السوداني عن العالمين العربي  
والإسلامي ، فلقد بدأت خطواتها منذ منتصف تسعينات القرن  
الماضي .

وهو ما يعود بنا ثانية إلى عاموس يادلين الرئيس السابق لجهاز  
المخابرات الحربية الإسرائيلية «أمان» في نوفمبر ٢٠١٠ خلال مراسم  
تسليم مهامه للجنرال أفيف كوخافي حين اعترف في هذا الصدد بدور  
إسرائيلي واسع في مساعدة الحركات الانفصالية بالجنوب السوداني ،  
قائلا: «لقد أنجزنا خلال السنوات الأربع والنصف الماضية كل المهام  
التي أوكلت إلينا واستكملنا العديد من التي بدأ بها الذين سبقونا ،  
أنجزنا عملا عظيما للغاية في السودان ، نظمنا خط إيصال السلاح  
للقوى الانفصالية في جنوبه ، ودربنا العديد منها ، وقمنا أكثر من  
مرة بأعمال لوجيستية لمساعدتهم ، ونشرنا هناك في الجنوب ودارفور  
شبكات رائعة وقادرة على الاستمرار بالعمل إلى ما لا نهاية ، ونشرف  
حاليا على تنظيم الحركة الشعبية هناك ، وشكلنا لها جهازا أمنيا  
استخباريا». وتصريحات المسئول الإسرائيلي هنا لا تخفى ..

## ثانيا : الخطر الصهيوني

والواقع أن الدور الغربى - الإمبريالى الأمريكى والصهيونى - كان يسبق هذه السنوات من فترة مبكرة حين نرى تنامى الدور الأمريكى فى العديد من مناطق الشرق عامة والشرق العربى على وجه أخص . وهو ما يتمثل هنا - على سبيل المثال- فى المشروع الذى عرف بمشروع برنارد لويس وبه العديد من صور هذه الفوضى «غير الخلاقة» التى تسعى إليها فى المنطقة القوى الإمبريالية الغربية بالتحالف مع الخطر الصهيونى . وسوف نضرب مثلين اثنين لمفردات هذا المخطط فى كل من الشرق العربى - الجزيرة العربية والخليج وما حدث فى السودان - مرجنين النصوص إلى ما بعد ..

●● إن هذا المشروع -وهنا المثال الأول- اعتمده القوى الغربية والصهيونية لسياستها المستقبلية فى الشرق ويقوم على النحو التالى :

- فى عام ١٩٨٠م والحرب العراقية الإيرانية مستعرة صرح مستشار الأمن القومى الأمريكى «بريجنسكى» بقوله : «إن العضلة التى ستعانى منها الولايات المتحدة من الآن (١٩٨٠م) هى كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التى حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود «سايكس- بيكو» .

- عقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية «البنجاجون» بدأ المؤرخ الصهيونى المتأمرئ «برنارد لويس» بوضع

مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعا كلاً على حدة. ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت بوحى من مضمون تصريح «بريجنسكي» مستشار الأمن القومى فى عهد الرئيس «كارتر» الخاص بتسعير حرب خليجية ثانية تستطيع الولايات المتحدة من خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو بحيث يكون هذا التصحيح متسقا مع الصالح الصهيونى أمريكى.

- فى عام ١٩٨٣م وافق الكونجرس الأمريكى بالإجماع فى جلسة سرية على مشروع «برنارد لويس»، وبذلك تمّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه فى ملفات السياسة الأمريكية الاستراتيجية لسنوات مقبلة.

وهو ما يصل بنا إلى المثال الآخر عبر مخطط معاصر تشارك فيه القوى الصهيونية أيضا..

●● نجد طرحا مريعا لهذا المخطط فى جنوب السودان منذ عام ١٩٧٢، عندما نجحت واشنطن. بدفع من مجلس الكنائس العالمى، فى التوصل إلى اتفاقية أديس أبابا بين نظام الرئيس السودانى فى هذا الوقت - جعفر النميرى - وحركة «أنانيا»، قبل أن يتكرر

السيناريو نفسه من خلال الرعاية الأمريكية لاتفاقية السلام الشامل في عام ٢٠٠٥ بضغط من مجموعات الضغط الداعمة للحركة الشعبية لتحرير السودان.

والعود إلى أحداث هذه الفترة يرينا أن الدعم ما كان ليتحقق لولا نجاح الحركة الشعبية لتحرير السودان، منذ إعلان تمرداتها في عام ١٩٨٣. في استغلال العامل الديني في حربها ضد حكومات الشمال، وتصوير الصراع على أنه صراع بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين العرب والأفارقة من جهة ثانية، فمنذ بداية تسعينيات القرن العشرين، نشطت مجموعات يمينية أمريكية، تتصدرها حاليا «جويش وورد سيرفس» التي تضم منظمات «سيف دارفور» و «ايناف» و«هيومانتي يوناييتد» و«جينوسايد انترفرنشن»، إلى جانب مجلس الكنائس العالمي وعدد من مراكز الأبحاث، لمصلحة دعم الحركة الشعبية لتحرير السودان كما ضغطت هذه المجموعات على الإدارات الأمريكية المتعاقبة لإجبارها على تبني سياسات متشددة تجاه نظام الرئيس السوداني عمر البشير، والدفع باتجاه التوصل إلى اتفاق سلام ينهي الحرب الدائرة في الجنوب.

وأثبتت هذه المنظمات، خلال العقدين الأخيرين، قوة تأثيرها وخطورته. وبعدها نجحت في التغلب على دور اللوبيات الاقتصادية، التي كانت تسعى إلى تشجيع مبدأ الحوار مع نظام البشير للاستفادة من الاكتشافات النفطية الجديدة في السودان. أقنعت الكونجرس الأميركي في عهد بيل كلينتون بضرورة ضم السودان إلى لائحة الدول الراعية للإرهاب، مستغلة استضافة النظام السوداني لزعيم تنظيم «القاعدة»

أسامة بن لادن، وعدد من القادة الفلسطينيين المناهضين للأمريكيين. كما وقفت وراء تبني الكونجرس الأمريكي عقوبات اقتصادية على السودان في عام ١٩٩٦. قبل أن تدفع. مجدداً، باتجاه تشديدها وصولاً إلى حد فرض حظر الأسلحة على السودان بعد اتهام الحكومة السودانية بالتطهير العرقي في الجنوب.

بيد أن هذا التشدد لم يمنع المنظمات من تشجيع الإدارة الأمريكية على مواصلة مساعيها الهادفة إلى تسوية الصراع، من خلال تقديم مبادرات لجمع الحكومة السودانية والحركة الشعبية في مفاوضات مباشرة. ومع وصول جورج بوش الابن إلى الرئاسة، مارست جماعات الضغط المؤيدة لجنوب السودان الدور نفسه، لكن بثقل أكبر. تقول مصادر هذه الفترة أن القس جون دانفورث، الذي عينه بوش في عام ٢٠٠١ مبعوثاً خاصاً للسودان، كان قد أدى دوراً رئيسياً في التوصل إلى اتفاقية السلام، بعدما أمنت له اللوبيات وسيلة إضافية للضغط على الخرطوم من خلال نجاحها في إقناع الكونجرس الأمريكي بإقرار قانون سلام السودان أواخر عام ٢٠٠٢ بعد سنوات من التأجيل.

وبالتزامن مع إقرار المشروع، انطلقت جولات من المفاوضات الجادة بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان، أفضت في نهاية المطاف إلى توقيع اتفاقية «نيفاشا» برعاية أميركية. وفي ظل إدراك واشنطن أن انفصال الجنوب واقع لا محالة، تركزت الجهود الأميركية بعد توقيع اتفاقية السلام على تقديم المساعدات المالية لحكومة جنوب السودان، لتمكينها من إرساء البنية التحتية الضرورية لضمورها

كدولة مستقلة بعد انتهاء الفترة الانتقالية المنصوص عليها في اتفاقية السلام.

وهو ما يصل بنا إلى المثال الآخر، ما يحدث في المشرق العربي

### شبه الجزيرة العربية (والخليج)

- إلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من الخارطة ومحو وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط.

١- دويلة الإحساء الشيعية: (وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين).

٢- دويلة نجد السنية.

٣- دويلة الحجاز السنية.



خريطة شبه الجزيرة العربية والخليج

وهو ما استمر لتأكيد خطة تمزيق هذا المشترك الثقافي الشاسع بين  
أبناء المنطقة

ثالثاً : خطر المصطلح - مصطلح «الشرق الأوسط».

إلى جانب الخطر الغربي والصهيوني كان يروج لمفهوم جديد لتمزيق  
المنطقة والقضاء - فى المقام الأول - على هذا المعنى الديمو-ثقافى،  
ويمكن أن نلاحظ هذا منذ فترة مبكرة حين يتغير مفهوم الشرق إلى  
مفهوم «الشرق الأوسط» وهذا المفهوم - المعنى الأخير لا نجده فى المصادر  
أو المراجع التاريخية فحسب، بل يكفى العود إلى بعض الروابط الرقمية  
العامة لنعرف الكثير عن هذا المصطلح، وهو ما نضطر معه منذ البداية  
إلى استعادته.

لنحاول استعادة هذا الخط / الخطر التاريخى إلى اليوم

- كتب تيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية (كحركة سياسية عالمية منظمة)  
عام ١٨٩٧ فى يومياته، يقول: «يجب قيام كومونولث شرق أوسطى،  
يكون لدولة اليهود فيه شأن قيادى فاعل، ودور اقتصادى قاذ  
المركز لجلب الاستثمارات والبحث العلمى والخبرة الفنية».

- أبرز ضابط البحرية البريطانية الفريد ماهان مصطلح الشرق الأوسط فى  
مقال كتبه فى الأول من أيلول عام ١٩٠٢ فى لندن، ثم استخدمه  
فالتناين شيرول مراسل التايمز اللندنية فى تشرين الأول عام ١٩٠٢  
و١٩٠٣ فى سلسلة من المقالات تحت عنوان «المسألة الشرق أوسطية»،  
ثم أصدرها فى كتاب عام ١٩٠٣.

- صدر فى عام ١٩٠٧ فى لندن تقرير كامبل بنرمان وزير المستعمرات آنذاك، الذى وضعه فى مؤتمر عقده مجموعة من علماء التاريخ والسياسة والاقتصاد، بمشاركة عدد من السياسيين الأوروبيين وتناول الوضع فى المنطقة العربية، جاء فيه: (يكمن الخطر على الغرب فى البحر المتوسط، لكونه همزة وصل بين الشرق والغرب. ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية شعب واحد، تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والجغرافية وكل مقومات التجمع والترابط، وذلك فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الكبيرة).

ويتساءل التقرير عن مصير المنطقة، إذا انتشر فيها التعليم والثقافة. ويجيب بأنه إذا حدث ذلك، فسوف تحل الضربة القاضية بالإمبراطوريات القائمة.

ووضع المؤتمر المذكور المخططات والوسائل الكفيلة لإضعاف هذه المنطقة وتسهيل السيطرة عليها وعلى شطآنها واحتواء إراداتها وطاقاتها وثرواتها ومنع تطورها وتقديمها ووحدتها.

**وحدد الوسائل والأساليب للوصول إلى ذلك بما يلى:**

أولاً: إقامة حاجز بشرى غريب وقوى مانع، يفصل بلدان المشرق عن بلدان المغرب العربى، وإقامة قوة قريبة من قناة السويس، عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية.

ثانياً: العمل على تجزئة الوطن العربى إلى دول وكيانات متعددة، يهدف التقرير إلى إقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين، والسيطرة على

الموقع الجيواستراتيجي المهم للوطن العربي وعلى قناة السويس، ونهب ثرواته الطبيعية والحيلولة دون تطوره ودون تحقيق الوحدة العربية.

- بدأت الصهيونية تعم هذا المصطلح - مصطلح الشرق الأوسط - بديلا للوطن الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة، نظرا لأنه ملتقى القارات الثلاث ويُشرف على أهم الممرات المائية كقناة السويس، ومضيق باب المندب، والخليج، وخليج العقبة ومضيق هرمز، ويحتزن أكثر من ثلثي احتياطي النفط العالمي. وتخشى الصهيونية والاستعمار من إقامة دولة اتحادية عربية قوية وغنية ومسلحة بالثروة النفطية والقومية العربية والعقيدة الإسلامية.

- ظهر في لندن عام ١٩٠٩ كتاب بعنوان: «مشاكل الشرق الأوسط» لمؤلفه هاملتون وضح فيه أهمية المنطقة لأوروبا والعالم، وطالب بضرورة السيطرة عليها. وأعلن الحاكم البريطاني على الهند اللورد كيرزون عام ١٩١١ إدارة خاصة للشرق الأوسط، وكلفها بالإشراف على شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق.

- اقترح الإرهابي فلاديمير جابوتنسكى عام ١٩٢٢ مشروعاً لإقامة سوق شرق أوسطية. وحددت الحركة الصهيونية عام ١٩٤٢ أهدافها التوسعية وسيطرتها الاقتصادية على المنطقة في مؤتمر بلمنور الصهيوني، الذي يعتبر أهم مؤتمر صهيوني بعد المؤتمر التأسيسي في بازل على الشكل التالي: (إقامة قيادة يهودية للشرق الأوسط بأكمله في ميداني التنمية والسيطرة الاقتصادية) ووضع الصهاينة دراسات

ومذكرات حول «الشرق الأوسط» في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢، وأنجزوا مشروعاً صهيونياً للشرق الأوسط لمواجهة الكتاب الأبيض لحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين ويتضمن المشروع العمل على قيام تعاون سياسي واقتصادي يمنع التصادم بين العرب واليهود، ويدمج فلسطين وبقية بلدان المشرق العربي.

— غرس يهود بريطانيا والولايات المتحدة فكرة الشرق أوسطية في صلب السياستين الأمريكية والبريطانية خلال الحرب العالمية الثانية. وقد طُرحت فكرة التعاون الاقتصادي بين بلدان منطقة الشرق الأوسط لأول مرة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣، وذلك في اجتماع عُقد بين ممثلين عن وزارتي الخارجية الأمريكية والبريطانية في لندن، بمقر وزارة الخارجية البريطانية للتباحث في تسوية وضع الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لضمان مصالح البلدين في المنطقة والهيمنة عليها.

— أعد اليهودي الأمريكي د. أرنست بيرجمان «أحد تلامذة حاييم وايزمان، زعيم المنظمة الصهيونية العالمية»، مذكرة قَدَّمها للاجتماع، ويمثّل فيها تهويد فلسطين جوهر الخطة الأمريكية والقائمة على هجرة اليهود إلى فلسطين العربية وإقامة «إسرائيل» فيها، وتحويلها إلى قاعدة صناعية متطورة لتكون حجر الزاوية في المشاريع والمخططات المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

— ظهرت «الشرق أوسطية» كفكرة «إسرائيلية» لأول مرة في وثيقة أصدرها «اتحاد يهود» بتاريخ ٢٨/٣/١٩٤٨ وتضمنت «التصاق فلسطين في

اتحاد شرق أوسطى واسع»، ووقعها عن اللجنة التنفيذية للاتحاد المذكور: يهودا ماغنس، مارتن بوبر، ديفيد سيناتور، جيرت ويليم وإيزل مولهو.

وهل نحن - حقا - بعد هذا في حاجة لاستعيد هذه الإشارات :  
في العراق يوجد ( الشبك، الأرمن، الصابئة المندائيين، الكلدان الآشوريين السريان، الأيزيديين، التركمان، الكورد الفيليين، الأكراد) وفي لبنان يتواجد ( الشيعة، الدروز، المسيحيون، الأكراد، الترك، العلويون)، وفي بلدان الخليج يوجد ( الشيعة )، وفي سوريا ( العلويون، الدروز، الإسماعيليون، المسيحيون، الأكراد، الترك، الشركس )، وفي مصر ( الأقباط، النوبيون، البربر) وفي السودان (المسيحيون في الجنوب و المسلمون من قبائل طوائف فور ومساليت وزغاوة، في غرب السودان).

ثمة ملاحظات بدهية باقية هنا تأكيدا لإعادة تعريف المصطلحات الراجعة بيننا :

- إن من يقدم الرؤية هنا والشهادات ليس من بين المثقفين وحسب وإنما أضيف إلى دور المثقفين - كما نعرف في المؤتمر الذي عقد بجامعة القاهرة - عدد كبير من السياسيين والدبلوماسيين والفنانين على أعلى مستوى ..

وهو ما أسهم في تأكيد الوعي بالمشترك ..

- «مفهوم الهوية» الذي نسعى إليه هنا يعبر عن إنها الهوية من العالمية إلى الهوية الشرقية .. بعناصرها الرئيسية السائدة :، الدين، اللغة، القيم، التراث. التاريخ،.. إلى غير ذلك من السمات التي خلقت

هذا التكوين على المستوى التاريخي والاجتماعي.. كما سنرى  
- مفهوم الهوية ينصرف من التاريخي إلى الجغرافي إلى الثقافي في هذه  
المنطقة التي تتعدد فيها العناصر وتتحد في السمات الأخيرة كما  
سنرى

- في هذا الإطار لابد وأن نشير إلى بدهيات يفرضها علينا تاريخ المنطقة  
وحاضرها، من مثل تغير أساليب الغرب الصهيوني أو الأمريكي،  
وهو ما نسعى معه إلى محاولة فهم مصطلح «المشرق الإسلامي» وليس  
«المشرق الأوسط» بأي حال .

وما يمكن أن يقال عن إعادة النظر في المفاهيم المعرفية أو الجغرافية  
يقال عن المفاهيم السياسية، فما يمكن أن يقال عن مفهوم مثل «المشرق  
الأوسط» على سبيل المثال - يمكن أن يقال: حين نردد مفهوم (الشورى)  
لا (الديموقراطية) و(المساواة) لا (العدالة الاجتماعية) وبغض النظر عن  
الدلالة العامة فإن الدلالة الحقيقية الصاعدة من نسيج هذه (الهوية) هي  
التي يجب التنبيه لها ونحن نبحث عن المستقبل - المصير الواحد.  
وهو ما نقرب فيه أكثر من تجليات هذا المشترك ..

□□□